

## ميمر الظهور الإلهي للقديس إغريغوريوس صانع العجائب

افتحوا أذانكم، أبواب سمعكم، واقبلوا اليوم حديثي عن معمودية المسيح. تعالوا نذهب مع المسيح إلى الأردن. فمغبوط كل من يرافقه في هذا الطريق، طريق الحياة. تعالوا بفكرنا إلى الأردن لنرى يوحنا المعمدان يعمد شخصاً ليس في حاجة إلى عماد، ولكنه يخضع لذلك الطقس ليمنحنا نحن العماد. حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه يا لتواضع الرب..! وبالنتيجة الذي لا يحد

ملك السماوات يسرع إلى يوحنا، بشيره، دون أن يحرك جيوش ملائكته، أو أن يرسل قدمه قواته غير المرئية! وإنما هو - في بساطة متناهية - يأتي إلى جنديه الخاص، كجندي؛ متقدماً إليه كواحد من الجماهير، مذكلاً نفسه بين المأسورين وهو الديان! مدمجاً ذاته وسط الخراف الضالة؛ وهو الراعي الصالح الذي من أجل خرافه الضالة نزل من السماء، وان كان لم يترك رغم ذلك سماه

ولما رآه يوحنا عرفه. أليس هو الذي عرفه وقدم له العبادة، وهو في بطن أمه؟ أدرك يوحنا أن هذا هو الذي من أجله قد وثب قبلاً في أحشاء أمه، كاسراً حدود الطبيعة. فأحنى رأسه كعبد، في ملئ المحبة لسيدة مخاطباً إياه بهذه الكلمات أنا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتي إليّ ما هذا الذي تفعله يا سيدي؟! إن الصغير هو الذي يتبارك من الكبير، ولكن الكبير لا يتبارك ويتقدس بواسطة الصغير! الطين يشكله الفخاري، ولكن الفخاري لا يشكله الطين. المريض يشفيه الطبيب ولكن الطبيب لا يعالجه المريض. الفقير ينال إعانة من الغنى، ولكن الغنى لا ينال إعانة من الفقير. "أنا المحتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتي إليّ".

هل أستطيع أن أجهل من أنت، ومن أين أتيت؟! أم هل أدرك لأنك من أجلى ولدت كما ولدت أنا، أنكر عظمة لاهوتك؟ أم هل بسبب جسدك هذا الذي أخذته لأجل خلاص البشر، إذ سمحت أن تكون مرثياً للناس، أتناسى أنا بهاء ومجد لاهوتك

إنني أعرفك يارب، أعرفك جيداً، إذ أنك أنت علمتني. لأنه لا يستطيع أحد أن يعرفك مالم يتمتع أولاً بالاستضاءة منك. أننى أعرفك يارب جيداً، لأننى رأيتك بالروح قبل أن تنظر عيناى هذا النور. فعلى الرغم من أننى كنت محجوراً بالطبيعة في أحشاء إيصابات كما في سجن، مربوطاً بالرباطات اللحمية الوثيقة التي يكون الأطفال مربوطين بها قبل ولادتهم، إلا أننى وثبتت محتقلاً بميلادك في بهجة المنتظر!.. فهل أنا الذي أخطرت بحولك على الأرض قبل أن تولد، أفضل في إدراك مجيئك بعد ولادتك

إننى لا أستطيع إلا أن أعبدك أنت أيها المعبود من كل الخليقة. ولا أستطيع إلا أن أنادى بك، أنت يا من أخبرت عنه السماوات بواسطة النجم، واستقبلته الأرض بإرسال الحكماء إليه "المجوس". بينما سبحتك جوقات الملائكة في فرح على تنازلك إلينا. والرعاة الذين كانوا يحرسون حراسات الليل رتلوا لك كراع أعظم للخراف العاقلة.

إننى لا أستطيع أن أصمت في حضورك لأننى صوت. نعم إننى - كما قيل صوت صارخ في البرية: أعدوا طريق الرب اش ٤٠: ٣، مت ٣: ٣

أنا - إذ ولدت - أزلت عقم الأم التي حملتني. وإذ أنا ما أزال طفلاً، شفيت أبى من صمته. لأنك أعطيتني منذ طفولتي موهبة صنع المعجزات. أما أنت وحدك - فإنك لم تفقد أمك بتوليبتها، بل حفظتها لها وفي بساطة أعطيتها لقب أم. فما حلت بتوليبتها دون ولادتك، وما أضرت ولادتك بتوليبتها هذا الأمران النقيضان: الولادة والتولية، توافقا لغرض واحد، إذ أن هذا ممكن لديك، أنت يا مبدع الطبيعة

أنا لست إلا إنساناً مشتركاً في النعمة الإلهية. أما أنت فإله. لى احتياج أن أعتمد منك، أنت يا من كان في البدء، وكان مع الله، وكان هو الله يو ١: ١ أنت يا بهاء مجد الأب عب ١: ٣ أنت أيها

النور الحقيقي الذى يضى لكل إنسان يأتى إلى العالم يو ١ : ٩ أنت يا من حلت بيننا فى شكل عبد ولم تميز نفسك عن عبيدك

أنت تأتى إلى؟! الملك لسابقه (يقصد الجندى الذى يسير أمام الملك) الرب لعبده أننى أعرف مقدار تفوقك على، وكيف أنك أنت شمس البر وما أنا إلا مصباح لنعمتك. أننى أعرف مقدار الفرق بين التراب والخالق، وبين الطين والفخارى. وعلى الرغم من أنك محجوب بسحابة جسدك النقية، إلا أننى ما زال قادراً على تمييز ربوبيتك: أعرف ربوبيتك الكاملة، وأدرك تفاهتى المطلقة. أننى "لست أهلاً أن أحل سيور حدائك

كيف أجرؤ أن ألمس رأسك الطاهرة؟ كيف أمد يمينى نحوك، أنت الذى تمد السماء كستار مز ١٠٤ : ٢، وتبسط الأرض على المياه مز ٣٦ : ٦، كيف أبسط يدي الحقيرتين فوق رأسك؟ وكيف أغسلك أنت الذى بلا إثم ولا دنس

أى نوع من الصلاة أقوله عليك، وأنت الذى تتقبل الصلوات حتى من أولئك الذين لا يعرفونك عندما أعمد الآخرين أعمد باسمك، حتى يؤمنوا بك أيها الآتى فى مجده. ولكن عندما أعمدك: من أذكر؟ وباسم من أعمدك؟ هل باسم الأب؟ ولكن الأب فيك وأنت فى الأب. أم باسم الابن؟ وليس هناك ابن للأب غيرك! أم بالروح القدس؟ ولكنه معك فى طبيعة واحدة، ومشية واحدة، وقوة واحدة

فعمدنى أنت إذن يارب ان سمحت، عمدنى أنا المعمدان. مد يمينك الرهيبة علىّ، وتوج رأسى بلمسك، حتى أستطيع أن أجرى فى طريق ملكوتك، متوجاً كسابق، وفى نشاط أعلن هذه الأمور الصالحة للخطاة، مخاطباً إياهم بهذا النداء الحماسى ها هوذا حمل الله الذى ينزع خطية العالم يو ١ : ٢٩

وأنت يا نهر الأردن: اشترك معى فى هذا الخورس المبتهج. اقفز، وقلب أمواجك على إيقاع النغم، لأن صانعك يقف إلى جوارك فى الجسد. لقد شاهدت فى القديم إسرائيل آتياً ليعبرك، فقسمت لجك، وانتظرت مرور العابرين.. فلتنقسم الآن بالأكثر، ولتندفق مياهك فى يسر. عانق أعضاءه الطاهرة، هذا الذى فى القديم نقل اليهود عن طريقك فأجاب يسوع وقال له: اسمح الآن

اسمح أن يكون الأمر هكذا الآن. تعلم أن تكون إرادتك هى إرادتى. تعلم أن تخضع لى فى هذه الأمور، ولا تتدخل بحب الاستطلاع فيما أريد أن أفعله. اسمح ان يكون الأمر هكذا الآن، فلم يحن الوقت بعد لأن تعلن لاهوتى، لا تدع ملكوتى يشفتيك، لئلا يعرف الطاغية الشيطان الحقيقة، فيبطل مشورته التى دبرها بخصوصى. دع الشيطان يأتى علىّ، ويدخل فى الصراع معى كما لو كنت شخصاً عادياً، وفى ذلك يصيبه جرحه المميت

اسمح لى أن أكمل الغرض الذى من أجله أتيت إلى العالم. إنه سر هذا الذى يحدث الآن فى الأردن. يوجد رمز ها هنا، ليس لإيفاء حاجتى وإنما حاجة هؤلاء الذين جرحوا. هنا رمز يجعل هذه المياه تمثل الينابيع السماوية لتجديد الناس. فاسمح أن يكون هذا هكذا الآن لأنه يليق بنا أن نكمل كل بر

إننى معطى الشريعة: فيليق بى أن أتم كل ما فيها، ثم بعد ذلك أعطى موهبة الحرية. يليق بى أولاً أن أتم الناموس، وحينئذ أعطى النعمة. يليق بى أولاً أن أنهى العهد القديم، ثم أملى الجديد، اكتبه على قلوب الناس بدمى، واختمه بروحى. يليق بى أن أصعد على الصليب، ويثقب جسدى بالمسامير، وأشفى الألم بالألم. يليق بى حتى أنزل إلى أعماق القبر من أجل الموتى المحبوسين هناك، وأحطم قوة الموت بالموت

يليق بى أن أتم هذه الأمور، لأنى من أجل هذه الأمور أخذت وضعى هذا مع صنعة يدي. يليق بى أن أتعمد بهذه المعمودية فى الوقت الحاضر. وفيما بعد أتمم المعمودية الثالث المتساوى فى الأقاليم لجميع الناس

أعرنى لذلك أيها المعمدان يدك اليمنى، وكما أعارتني مريم أحشائها وولدتني، غطسني أنت في مياه الأردن. وكما أن هذه التي ولدتني ولفتنى في أقمطة الأطفال، امنحنى معموديتك كما منحتني العذراء لبنها

عمدني أنا الذى سأعمد كل الذين يؤمنون بى بالماء وبالروح وبالنار: الماء الذى يقدر أن يزيل كل وسخ الخطايا، والروح القادر أن يجعل الترابيين روحيين، وبالنار التى بطبيعتها يمكن أن تلتهم كل الأشواك المخالفة

وإذ سمع المعمدان هذه الكلمات مد يده منفذاً الأمر الإلهى، وعمد الرب. وإذ الأب قد فتح أبواب السموات، وأرسل روحه القدس على يسوع بهيئة حمامة، وقال هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت

ابنى الحبيب المولود منى قبل كل الدهور، والذى هو من نفس طبيعتى له اسمعوا. وإن سألكم من يقول الناس إنى أنا ابن الانسان أكون مت ١٦ : ١٣ ، ١٦ فأجيبوه أنت هو المسيح ابن الله الحى وهكذا استنار الناس وبدأوا يقتربون إلى المسيح، إلهنا الحقيقى، الذى يعمد بالروح والنار الذى له المجد مع الأب والروح القدس المحيى الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين